العيافة عند عوام العراق

Les Augures chez les Irâquiens.

العيافة مشتقة من عفت الطير وغيرها من السوانح اعيفها عيافة : زجرتها وهو ان تعتبر بأسمائها ومساقطها ومرها واصواتها فتتسعد او تتشأم والعائف : المتكهن بالطير او غيرها من السوانح ويقال له الزاجر ايضا (ملخص عن اللغويين).

والذي عندنا ان العيافة مشتق من (العوف) كما ان البوابة مشتقة من البـاب . والعوف هو الطائر (وفي كتب اللغة طائر . وهذا وهم عندنا) كما ان الافرنجية Augure مشتقة من Avis gurere اي اختبار العوف أو الطائر واستشارته كما في العربية .

وكان السلف كثيرا ما يعيف الطير وهكذا كانت سائر الامم مولعة بالعيافة كما هو شأن جميع الاقوام غير المتنورة وإلّا فما اثر هذه الحيوانات على اختلاف انواعها في امور الناس وهم مخيرون في اعمالهم ولا صلة تصلهم بما يحيط بهم. ومن الامم المولعة بالعيافة الرومان فانهم كانوا اشد الناس حرصا على معرفة المستقبل وما يكون في مطـاويه من سعد ونحس بالنظر الى حركات الطير على اختلاف انواعها .

والامم مهما ارتقت تكون فيها طبقتان : طبقة عالية وهي طبقة الخاصة ، وطبقة منحطة او سافلة وهي طبقة العامة . والعوام في جميع البـلاد والديار والامصار مولعون بالعيافة أو الزجر . ولما كان صديقنا العزيز احمد حامد افندي الصراف من متتبعي آداب طبقات الناس والباحثين عن اخلاقهم ، طلبنا اليه ان يتحفنا بما يعلم عن عيافة العوام في العراق . فكتب لقراء لغة العرب هـذه المقالة الشائقة وقسمها الى اربعـة اقسام : قسم الحيوانات . وقسم الطيور . وقسم الحشرات . وقسم الاشجار . فقال : «لغة العرب»

١ ــ عيافة الحيوانات

الخراف

الخرافيون من الرجال يتفاءلون برؤية الخراف عند الصباح . معتقدين

ان رؤية الغنم (غنيمة) ؛ واذا شاهد احدهم قطيعا وجب ان يعد منه سبع نعاج حمر . وإلّا اصابه مكروه في يومه .

والطفل الذي يبكي كثيرا تأخذه امه الى قطيع من الغنم فتمشي امامه(امام القطيع) بسرعة وتقول : « يا عجة ، اخذي اللجة » اي ايها العجاج خذ اللجاج، معتقدة ان هذه الفعلة تجعل الولد هادئا لا يبكي ولا يصيح .

ومن امثال العوام : « فلان صار خروف » اي خرف وهذى وهرم .

ومنها « فلان مثل النعجة » يقال للرجل العاجز الجبان .

الكلب

كان العربي الجاهلي يحب الكلب ويضرب المثل بوفائه بل مدح احد السلف في صدر الاسلام الخليفة بقوله :

انت كالكلب في احتفاظك للود وكالكبش في قراع الخطوب

وكان اذا أراد احدهم مدح اخر ونعته بالكرم قال : « فلان جبان الكلب » واخبار هذا الحيوان الامين كثيرة في كتب الادب .

اما المسلمون فيعدونه نجسا (١) لحديث ورد عن النبي (ص) قوله : اذا ولغ الكلب في اناء احدكم فاغسلوه سبعا احداهن في التراب .

اما الان فيتشاءم منه عامة الجهلة من نساء ورجال ولا سيما حين يعوي عواء الذئب فيكثر من عوائه فينهرونه حينئذ بقولهم له:« محموم بالله هلك هلك عوذة » اي « انت مردود بعوت الله الى اهلك اهلك نعوذ بالله منك » وبعضهم لا يتردد في قتل مثل هذه الكلاب تخلصا من شرها .

اما الذي ينبح نباحا عاديا فلا يتشاءم منه ؛ واذا نبح الكلب في وجه طفل (واخترع) اي ارتعب اخذوا شعرات منه واحرقوها تحت ثياب الطفل . واذا عض الكلب احدهم اخذوا من اصحابه (خمرة) اي عجينة وملحا ووضعوها على المكان المعضوض فيبرأ على ما يزعمون ! والاعراب العائشون في البساتين والحقول يتهافتون على اقتنائه لانه يحرس غنمهم ومواشيهم ليلا .

ومن امثال العوام « اذا كانت حاجتك عند الكلب قل له حاج كليبان » اي

(١) وقد الف الاديب الالمعي الحاج عبد اللطيف جلبي تنبيان رسالة في طهارة الكلب وهي من احسن ما جاء في هذا الباب

عظمه بالالقاب الضخمة لتنال بغيتك . ومنها : « مثل كلب المبلل » يقال لمن يتورط في امر . ومنها : « طردوه طرد الكلب من الجامع » ومنها : « مثل كلب المكلوب » يقال لمن يعربد ويصخب ويشاغب كثيرا .

الهر

لا يتشاءم منه النـــاس ولا يتفاءلون به اما اذا شوهد يمسح وجهه بيديه وخصوصا اذا امرهما فوق اذنيه قالت النساء سيجيئنا ضيف واذا تقاتلت القطة وقام احد سكان البيت وضربها قالوا : سيصيبه اذى في يومه .

واليهود في العراق يكرهون القطة كرهـا عظيما ولا يترددون لحظة في قتلها والمشهور عن الهر انه يأكل فراخه والى هذا المعنى اشار شوقي بك الشاعر حينما شبه الشمس بالهرة فقال :

فيالك هرة أكلت بنيهـا وما ولدوا وتنتظر الجنينـا

ومن امثال العوام : « هر المطابخ » يقال لمن فيه سمن

ومن امثالهم «عداوة الجريدي والبزون» اي عداوة الجرذ والهر يقال ذلك عن عدوين عداوتهما قديمة موروثة ويسمي بعض العوام (الهر) (عتوي) ويريدون به الهر الضخم ولا سيما الاسود

ابن آوى

ويسميه العوام في العراق (الواوي) ويتفاءلون برؤيته واذا صاح ابن آوى ليلا يفرحون معتقدين ان سنتهم تكون سنة خير وبركات . فاذا اكثر من صياحه وكان احد سكان البيت مريضا او أرمد او به سعال شديد او غير ذلك تقف احدى النساء وتأخذ بيدها اليمنى طاسة مملوءة ماء وتضع يدها اليسرى على رأسها وتتقبل (القبلة) وتسكب الماء وراءها وتقول :

« ياواوي البرية خذ صخونة (١) فلان بن فلان او رمد فلان بن فلان وذيه (٢) بالبرية » والمرضعة تأخذ ولدا من اولاد ابن آوى وترضعه من ثديها معتقدة ان ذلك يطيل حياة ابنها .

ويتفاءل المسافرون اذا عرض لهم ابن آوى في طريقهم

والاشي يسميها العراقيون (بعيوة) (مصغرة) ومن امثال العوام :

(١) الصخونة في لغة العوام العراقيين الحمى (٢) اي ارمه من فعل ذب يذب ذبا .

« فلان مثل واوي الحضرة » (١) ويراد بذلك المحتال الداهية.

وفي بغداد اذا قال احدهم للاخر (واوي) غضب منهما سامعها وقد شاهدت في بغداد الصبية يركضون وراء الصعاليك وهم يمطرونهم وابل الحجارة ويصرخون : (واوي) والصعاليك يرفعون عليهم هراواتهم مهددين اياهم بالبطش والفتك

الذئب

حيوان لا يتشاءم منه والنساء يعتقدن ان الذي يحمل عليه عينه المقلوعتين يصاب بارق شديد فلا يستطيع ان ينام ومن يحمل قطعة من جلده او نابا من انيابه او كعبا من كعاب عظامه تهزم منه الجان .

واذا وقع الطفل او زلت قدمه صرخت النساء (الذئب ، الذئب) مستنجدات به لطرد الجان لان الذئب يأكل الجان بموجب اعتقادهن كما ذكرناه في بحثنا عن الخرز .

والذئب مشهور بالغدر عند العرب القدماء واحسن من وصفه الشاعر المشهور الفرزدق حيث يقول من قصيدة له :

وانت امرؤ يا ذئب والغدر كنتما أخيين كانا ارضعا بلبان

الخنزير

حيوان مشؤوم وقد حرم لحمه على المسلمين بنص القرآن وقد حرم الفقهاء كله بجملته . إلا ان النساء يستعملن شحمه وجلده للسحر والعلاج . من ذلك انهن يعتقدن ان شحمة اذنه تفرق بين المتحابين . وان حمل احد احدى انيابه أمن الشر . لذلك تراهن يعلقن سنه في عنق الطفل . ويستعمل الماء الذي يشرب منه لمعالجة « السعال » وداء آخر يسمى في عرف العوام « خنيزيرة » وهو الخنازير ولذلك يقتني بعضهم خنزيرا ليبيع من الماء الذي يشرب منه فيضمن في الغالب لهذه الغاية وقد حدثني احد يهود بغداد بان العينة الواحدة تباع بنصف ربية وقد حققت الامر من يهود بغداد فتبين لي صحة هذا الزعم . ويعتقد الاعراب ان وجود الخنزير بين الخيل مدعاة الى سمنها .

احمد حامد الصراف

(١) الحضرة : مزرعة الخضروات وهي البقلة . وابن آوي الذي يكون فيها يتخفى في حفرها ولا يمكن التخلص منه .